استعمالات الشعر الشعبي في رثاء الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه

رحيم سواري
طالب دكتوراه اللغة العربية وآدابها - جامعة آزاد الإسلامية ـ فرع آبادان ـ إيران
الدكتور عبد الرضا عطاشي
أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة آزاد الإسلامية ـ فرع آبادان إيران
abdolrezaattashi2014@gmail.com

Uses of popular poetry in the lament of Imam Husayn and his family and companions

Rahim Sewari
PhD student of Arabic Language and Literature, Islamic Azad University, Abadan Branch
Dr. Abdul Ridd Attashy
Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Islamic Azad University, Abadan Branch

الملخص:

لقد أسهمت نهضة الإمام الحسين عليه السلام بإثراء الفكر والثقافة عامة، والأدب والشعر الشعبي على وجه الخصوص، وذلك لوجود الإرتباط الوثيق بينهما. فنجد المنبري والرادود والممثل في التشبيه الحسيني يتخذ من الشعر الشعبي أداة مؤثرة للقيام بمهمته تجاه واقعة الطف الأليمة كما نجد في بطون الكتب والدواوين من الشعر الحسيني ما يعجز المستقصي لحدوده وحجمه، وهذه المسيرة ألتي امتدت على مرّ القرون ومنذ، استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء عام ٦١هـ إلى يومنا هذا، خلّفت لنا موروثاً ضخماً يحتاج إلى إمعان نظر وتحقيق وتدقيق للوقوف على أغراضه ومقاصده، ولأنّ اللوعة والعبرة والحزن تلازم القضية الحسينية ولا تفارق الموالين فمن الطبيعي أن يستحوذ الرثاء على مساحة واسعة من هذا الإنتاج الشعري الكبير ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة وفقاً للمنهج الوصفي - التجليلي لمعالجة هذا الجانب واستقصاء أثر هذا الغرض الشعري في الشعر الشعبي.

الكلمات الدليلة: الرثاء - الشعر الشعبي - التشبيه الحسيني - شعر التشبيه - واقعة الطف.

Abstract:-

The rise of Imam al-Husayn, peace be upon him, enriches intellect and culture in general , and literature and folk poetry in particular, because of their close association. Al-Manbari, Radud and the representative in the Husseini form take popular poetry as an effective tool to carry out his mission towards the reality of the dark child. From the poetry of Al-Husayni, what is impossible for the researcher of the limits and size, and this process that has spread over the centuries and since the martyrdom of Imam Hussein peace be upon him in Karbala in61 AH to this day, left us a huge legacy that requires careful consideration and investigation and scrutiny of the purposes and purposes, Anguish lesson and sadness inherent in the case Husseiniya does not depart from pro-it is natural that captures self-pity on a large area of this poetic production the large and from this point came this study according to the method of descriptive-Altjlla to address this aspect and investigate the impact of this poetic purpose in folk poetry.

Key words: Lamentation, Popular Poetry, Al - Husayni Al-Husayni, Al –Shubaylah, Al - Tuf.

المقدمة:ـ

بعدما أصيب المسلمون بالإحباط على أثر واقعة الطف الأليمة واستشهاد كوكبة من أبناء الوحي وعلي رأسهم الإمام الحسين بن علي عليه السلام تأثر الوجدان الشعبي بفصولها المأساوية الموجعة لضمير الإنسانية، وأخذ هذا الشعور ينّبه الأمة ويوقضها من سباتها ويشعرها بأنّ قوي الخير ستبقي مستهدفة ما لم يقف الفكر والقلم والقريحة بوجه الظلم والإضطهاد والإقصاء وحرف المسيرة الإلهية وتقديم نسخة مزورة من الدين غير أنّ الأفكار والقلوب النيرة بنور الإسلام الأصيل وقفت وثابرت وهذا ما تجسد وظهر بجلاء في أرض الواقع في ميدان الشعر والأدب، وبدأت ثورة الحسين عليه السلام تظهر معطياتها وآثارها بعد عاشوراء مباشرة وآتت أكلها بشعر شعراء الشيعة فكان لمشاعر الندم والحسرة التي أصابت المسلمين ومنهم الشعراء الحجر الأساس في تولّد الرثاء الحسيني.

فكأنّ مقولة الحسين عليه السلام لأعداءه: ((لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أفرّ فرار العبيد)) فجرت مشاعر التمرّد على السلطة الجائرة، وقادت الأمة نحو طريق الحرية، وكأن لوعة النساء والأطفال فجّرت المشاعر بالحزن والتفجّع والأسي ومنها إنطلقت مسيرة الشعراء الملتزمين بالسير على نهج أبي عبدالله الحسين عليه السلام برفض الظلم وإذكاء القريحة لمظلوميته وأهل بيته وأصحابه.

وكأنّ الحديث القائل: ((إنّ لقتل الحسين حرارة لا تبرد)) أضفي مسحة خالدة وسرمدية من الحزن على نفوس ومشاعر الشعراء فتُرجم هذا الحزن والتحسُّر إلى قصائد بالفصحي والشعبية غصّت بها الدواوين وتفنّن شعراء اللهجة الشعبية في مجال إبداع الأنواع المختلفة من الشعر الرثائي فنظموا مقاصير الشعر كادارمي والأبوذيه والموال وغيره وكتبوا القصيدة والردة والنعي، والرثاء هو الغرض الشعري الذي استحوذ على الكثير من الشعر الشعبي وذلك لشدّة ما ألمّ بالموالين من ألم وأسي لقتل أئمّة الهدي وخلفاء الرسول الأكرم صلوات الله عليه وعليهم وعلي الأخص فاجعة كربلاء واستشهاد أبي عبدالله الحسين عليه السلام والذي أدمي القلوب واجري العيون، وجيش عواطف ومشاعر الشعراء فترجمها إلى كم هائل من القصائد الشعرية كتبت على أنواع مختلفة من الشعر الشعبي والقيت على المنصّات والمنابر وفي مراسيم اللطم والعزاء الحسيني وجسّدت قول جده صلى الله عليه وآله فيه بأجلى صورة.

في هذا المقال نطرح ثلاثة أسئلة محاولين الإجابة عليها بعد مناقشتها وهي:

أولاً: ماهي الأنواع الشعرية التقليدية التي استخدمها الشعراء في هذا الغرض

ثانياً: ما هي الأنواع الشعرية المبتدعة من قبل الشعراء الشعبيين وماهي ساحات استخدامها؟

ثالثاً: ماهي المقاصد التي قصدها الشعر الشعبي في رثاء الحسين وأهل بيته عليه وعليهم السلام.

أضرب الشعر الشعبي الرثائي

شعر المنصة:

استخدم الشعراء هذا الغرض في قصيدة المنصة كما استخدموه في قصيدة (الرده) أو اللطمية، وهذان القالبان من الشعر الرثائي ينظمان لغاية الإلقاء من على المنصة وغالباً ما يكون الإلقاء بواسطة الشاعر نفسه، وقد ينظم الشاعر القصيدة لا لإلقاءها من على منصة أو في مهرجان بل يصوغها كما أسلفنا بهدف تقديمها لرّادود الحسيني وقد يتكفل الشاعر نفسه وضع اللحن المناسب لها وفي بعض الأحيان يترك المجال للرادود لتلحينها و قراءتها بصوت يناسب نصها، هذه القصائد تُنظم بصدق وإيمان من الشاعر ولذلك تجدها مشحونة بالعاطفة الصادقة لا يشوبها نفاق ولا رياء ولا تكسُّب، لأن ناظمها يعلم علم اليقين أنه مثاب بحكم الحديث الوارد من الإمام جعفر الصادق عليه السلام ونصه: "من قال فينا بيتاً بني الله له بيتاً في الجنة".

يلرايـــد صـــحيح اتشـــوف الإســـلام
فـــك عـــين الگلـــب وانظـــر للحســـين
تشـــوف الله ورســـوله ونـــص الكتـــاب
وهـــو هـــاذ الاســـلام العـــدل والـــدين
جِـــد خلـــف الحســـين اتنـــول المـــراد
خـــل گلبـــك قـــوي ولا عزمـــك ايلـــين

لا تســـــــتوحش القلّـــــــة الوفّـــــــاد

ولـــو ســـارت ابـــدرب الغـــي ملايـــين

اركـــب بالســـفينه احســـين ينجيـــك

صـــدگ طوفـــان لتغشّـــك شـــياطين

(الساري،١٣٩٧ش:٩٣)

وكما ينظم الشاعر الشعبي القصيدة للإلقاء أو الردة، ينظم سائر الأنواع الشعرية الأخرى، وهي مقاصير الشعر الشعبي.

الموال (الزهيري)

أختلف في سبب تسميته بهذا الإسم، فقيل سمي به لموالات قوافيه بعضها ببعض، وقيل سمّي بذلك لأنّ أول من نطق به موالي بني برمك، وكان أحدهم إذا نطق به ونعي مواليه قال: يا مواليا، وهذا هو الأصح.

(الخاقاني،١٤١٨ق:١٦) النايل من الأوزان التي يعتقد أن أول من كتبها أمراة من قبيلة بني عذرة وذلك بعد أن حرمت من حبيبها المدعو (نايل) فبدأت تترنم باسمه بأنغام غنائية موالية جديدة على المسامع مما فجّر ذلك النغم الحزين الذي جاء على لسانها ينبوعاً جديداً من الشعر الشعبي وبهذا وُلد وزن جديد أضيف إلى ما سبقه من أوزان الشعر العامّي، كما أضاف فخراً جديداً إلى سجل انجازات المرأة في مجال الشعر الشعبي، يرد هذا الوزن الشعري إلى بحر البسيط ويكتب بتفعيلتين ومع دخول بعض التطوير والإضافة عليه حديثا ولكننا هنا بصدد تثبيت وزنا الموال أو النايل وهما:

١- مستفعلن فاعلن.. مستفعلن فاعل

٢- مستفعلن فاعلن. .مستفعلن فعلان

يا محجر العين من دم للدمع صب صب

لـن راحلـين الـذي گلبـي لهـم صـب صـب

عنّي أو سهم الهجر لحشاشتي صب صب

گوطر ضعنهم وانه ما أدري بيه حلوين
يا گلبي زيد البچي واصرخ ولك حلوين
كلهم أماجد هلك كلهم هلك حلوين
حتّه الشهد هلصبح من عگبهم صب صب

(المشعلي،١٤٢٨ق:١٤٢)

الأبوذية: لطال ما فجّرت الأبوذية المحتفلين بالبكاء لغزارة العاطفة التي تحملها، وهو شعر اشتُقّ اسمه كما ذهب البعض من الأذى، فأصبح محملاً جيداً للرثاء ولذلك استخدمه الشعراء بصورة واسعة في شعرهم الحسيني ومنه قول بعضهم حينما استولد من رحم الشعر الفصيح شعراً شعبياً في قالب الأبوذية.

أنـــا دُر مـــن السَّـــماءِ نَثَرونـــي ... يَـــوْمَ تَـــزْويجِ وَالِـــد السّـــبْطَينِ
كنـــتُ أصـــفي مـــنَ اللّجَـــينِ بَياضـــاً ... صَـــبَغْتَني بِمَـــاءُ نَحـــرِ الْحُســـين
أَنَـــه دُرِّ السِّـــمَه الْمَعـــروف وَصْـــفَه ... نِثْرونـــي وصِـــرت لِـلنّـــاس وَصْـــفَه
أَبـــيضْ چِنـــت مِـــنَّ الفضّـــه وَصْـــفَه ... صُـــبَغني بَم نَحَـــر روحِ الزَّچِيـــه

(الجابري،١٤١١ق:١٣٠)

وهذا شاعر شعبي آخر يرثي رسول الحسين إلى الكوفة مسلم بن عقيل بن أبي طالب والذي استشهد في الكوفة قبل واقعة الطف بأيام:

يمســـلم خـــان بيـــك البلـــد وهلـــه ... بعـــد مـــا رحّبـــت حيـــاك وهلـــه
حگـــي اعليـــك اصـــب الـــدمع وهلـــه ... وحيـــد او جابليـــت اجيـــوش أميـــه

(الكروشاوي،١٤٣٣ق:٢٦)

ومثال التجليبة في الرثاء واللتي تُنظم على وزن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيل:

يضَـل صُـوتِ الْحسـينِ ابْ ضَامِـري رَنّـانْ
وَلَـــوتِغْلِبْني ابْذُوحـــا الإنـــس والْجـــانْ
الحسـين أصْـبَح مَنـــار ولِلْعـدل مِيـزَانْ

عِـدَل مِيـلِ الشَّـرَع والْعـدُو گَـصْ عِيَبـه

وهذا شاعر شعبي آخرينشد عن لسان حال الحوراء زينب سلام الله عليها في قالب الـ((ميمر)) المبتدع على وزن: مستفعلن مستفعلن مفعولن (مفعولات) ليفجر عيون الموالين بالدموع:

ـ َ ـــــايوم سِـــكانِ الْوكـــت دَارنّـــه يامَـــه مـ َ ـــــايوم بِفَـــرِد دَارنّـــه

بـ َ ـــــانَت مزهِـــرَه بِـــالزلم دارنّـــه كلهـــم جثـــث صـــارو ونامـــو بـــالبر

ويجد الشاعر الشعبي مساحة للتعبير عن إحساسه بالحزن العميق في شعر أصطلح على تسميته بالهات وهو يؤلّف على وزن ابتدعه شعراء الدارج تفعيلاته كالآتي: فاعلاتن فاعلاتن فاعلات، ويرجع هذا الوزن الشعري إلى بحر الرمل.

صـب يـدمع العـين مـن دم لا تِجِـف

ونـوح يـا نـاعي النـــوايب لا تِجِـف

احســين دينـــك يلمـــوالي لا تِجِـف

ابغيـر نهـج احسـين متفيـد الصـلات

(المصدر السابق:١٢٠)

والنوع الآخر من الشعر الشعبي الذي وظفه الشاعر الشعبي في هذا الغرض هو نوع حديث يسمي ((الومضة)) وهو شعر قصير جداً وقد يتكون من شطر أو شطرين أو اكثر وينتهي بانتهاء الرسالة التي يريد الشاعر ايصالها للمتلقي بإيجاز شديد وذلك نظير هذه الومضة في رثاء الإمام الحسين عليه السلام:

بـالطَّفْ صَـحْ يزيـد الْحـ َ ـارَب اْحسـين

صِـــيگ چـ َ ـــانَو يسَمّـــونه خَليفَـــه

لَجَنّـــه الصَّـــاغْ اْمـرِ الْحَـرب والْجِـيش

وَحَـــگ رَاسِ الـحْسِـــين اْهَـــلِ السَّـــقيفه

ولطالما ترنّم الموالون بـ((الهوسة)) في أيام محرم الحرام وباقي المناسبات الحزينة وهي تمتاز عن سائر أنواع الشعر الشعبي بمشاركة ومواكبة الجمهور مع شاعرها أو مؤديها والذي يسّمي المهوال و شطر الهوسة الأخير المصطلح على تسميته بالرباط يأتي دائماً على وزن: فعلن فعلن فعلن

من خلصت انصار احسين كلهه وكل اهل بيته
ركه اعله امطّهمه وشد هد شبل المرتفع صيته
رفع أوّل الجيش أو غاص بيه ذّبه اعله تاليته
شاهر سيفه ايطّبر بيه اشحّده اليوگف

(المشعلي،اسماعيل١٤٢٨ق:١٣٠)

لِدَّگ سَاسِ الْمواجِل بِلَوغَي عَباسْ
وغِدَه كُعْبَة وفَه وِتْدور بِيهِ النَّاسْ
شْكثِر جَنْدَل اْبَساحَات الْحرب فُرّاسْ
يامَا سِيفَه حَزْ بِيهِ اْرگَبْ

(الساري،١٣٨٨ش: ٤٥-٤٤)

الدارمي: وهو شعر قصير يتألّف من بيت واحد على وزن مبتدع وهو: مستفعلن فعلان مستفعلاتن (مستفعلاتان) يحتوي على فكرة تامّه وقد وظّف شعراء اللهجة الشعبية هذا النوع من الشعر الشعبي لرثاء شهداء واقعة الطف وللدارمي هواته الذين يفرغون ألمهم بفقد إعزتهم فيه ويرثون أئمتهم بحرارة وألم وفي ما يلي نموذجان للدارمي في رثاء أبي عبدالله الحسين عليه السلام.

هل دم يدمع العين لا لا تهل ماي
والكربله آنه اشلون ما تيه الرأي

(الساري،٢٠١٨م:٦٠)

صُبْ يا نَمِع مِدرار صُبْ نَم عَلَه الزِّينْ
مَافِجَع گَلْبي اْصَاب بَسْ فَگْد الِحسينْ

(المصدر السابق: ١٤)

النعي: ولا نبالغ إذا قلنا أنّ لشعر النعي الشعبي حصة الأسد من الشعر الرثائي الحسيني وغيره إذ أنّ هذا النوع من الشعر يؤدي بحرارة وتفّجع منقطعي النظير، وغالباً ما يقرأه أصحاب الأصوات الشجية من الرجال والنساء.

ـــر شـُ ـــو جـَ ـــاي اتَّعْثَّـــرْ
لْخيـــــمْ واعْـِيهَـــــا اتّفَكَّـــــر
وَيـــــاك چـــنْ جَايـــبْ خَوشَـــر
يلُمهُـــــــر نَمْعَـــك لَيتَحَـــدَّر
گلّ ـــــي شْجَـــرَه الْعـــالَم تَغَيـــر
وَاسْـــمَعْ هَظـــل واصْيـــاحْ گَبَّـــر
شِـــنْهو الشَّـــمس خَـــرّت يمكـــدر
ـُ ـــو سُـــوْرنه الْعـــالي تكسَّـــر
نْچـــان لْچِتَ ـــل وَالِـــد الاكبَـــر
يـــاهو الْيضَـــل لْلَحـــرَم مَكـــور
ـــَ اف الشْـــمل كلّـــه اي تطَشّـــر
لْوَهـــاي لِخـــيم بلنّـــار شْـــوَ
لاچِـــنْ گَبـــل هَجْمَـــة العَســـكر
اْشـــي لِبيتاَمـــه لِحســـين لْلِبـــر

(الديراوي، ١٤٠٩ق:١١٠)

قصيدة الردة (اللطمية)

من أبرز سمات الشعر الشعبي الحسيني الصدق في العاطفة وعدم التكسّب وكتابته رجاء تحصيل الثواب، لذلك تري شعراء الشعر الدارج يتسابقون ويتنافسون على كتابة

القصائد في رثاء أهل البيت عليهم السلام بطيب النفس وتمام التواضع والإخلاص وتقديمها إلى المداحين والرواديد، وفي ما يلي نأخذ جانباً من القصائد والردات الحسينية التي نظمها شعراء الشعر الشعبي.

ـ ُ ـــونْ صـ ـــارَت حَـــالِتچ يمْخَـــدَّره	اْبيـــ ُوْم اُخُـــوچ اْحسِـــينْ حَـــزَّو مَنْحَـــره
إنْتِـي مُـو بِنـت النَّبِـي الْهـادي الرَّسـولْ؟	وانْتِـــي اُمِّـــچ فاطمـــه الزَّهـــرا الْبتـــولْ
لْتِـي مـ ُـوعُودچ علـى فَحْـلِ الْفُحُـولْ؟	بصـــيَبْ كـ ـــرَبَله چـ ـــا مـــا ـَره؟؟
عَجـب حيـدر مـ ـــا حضَـرلِچ بِلُمـصابْ	وهْـــوَ صَـدَره مَمْلـــي بِلطِـم الْكتـ ـــابْ
مـ ـــا نَخِيتِـي حَيـدَره داحـــي الْبـابْ؟	بعتِـــي لِـبَنِـــه ويشـيلَه اْمـــنِ الثَّـــره
ـ ُـون صـ ـــارَت حَـالِتچ بَعـدِ الْأَهـلْ؟	خَلَّصـــو شـــو كلْهـــم البـــيهم أَمـــلْ
لّـــوبْ رِحتِـي اْميسَّـره فُـوگ الجَمـلْ	لشْـلون يازينـب صَـبْيتِي اعْلَـه الْجَـره
لشْـلون مِـنْ حَـادي الضَّـفْ نَـوَّه يشِـيلْ	لشْگلتِـــي وعَادْتِـــي عبـــاس الْكفيـــلْ
أظَـــنْ گْلتيلَـــه الْحِمـــل لَمَّـــنْ يمِيـــلْ	مِهـــو لِيعـــدلِه يسَبـ ـــعِ الْگنطَـــره

(العفراوي، بلاتا:١٤١)

والقصيدة التالية أيضاً نُظّمت على شكل ((ردّة)) أو ما اصطلح عليه محلياً ((لطمية)) وهي ليست للإلقاء على المنصة بل كتبت خصيصاً للرواديد، يؤدّيها شخص يمتلك صوتاً جميلاً وفيه شيء من الخشعة ليستثير عواطف الحاضرين في مجلس اللطم.

حَـــي عقيـــل وضِـــنوتَه الْجيدوَمَـــه	مِثْـــل يـــوم احســـين ثَابِـــت يوَمَـــهْ
احسـين كلَّـفْ بِـن عَمَّـه ابْهـل الأُمـرْ	وعْتِنـــه الْكوفانْهـــه ايريـــد النَّصـــرْ
ايريـــد ينْجيهَـــا مْـــنَ هَاليـــتِ الْغَـــدر	الطّاغِيـــه وذاك الْغَبِـــي واسْـــوُمه
ـِـــن وُصَـــل لَكوفَـــه حَيتلـــه الـــزِّلم	وخّبَـــراهُم عَـــنْ اَبـــو الْيمَّـــه الشَّـــهم
اْرَد اگلِ لْكـــــم وَازِيـــــنَكم عِلـــــم	تِبگَـــه هَـــاي اسْـــرَاركم مَكتومَـــه
َچـــن وَسْـــفَه خَالِ فَـــت كـــل الوعـــود	ونكـــرَت الـــدِّينِ وَمواثِيـــقِ الْعُ هُـــودْ
بَعـــد ذاك الْعَهـــد صَـــارولَهْ صُـــدودْ	وَصْـــبَحت بِـــين الْخَلَـــگ مَذْمُومَـــه

وِينْهِـــه الْگَالَـــت يجِينِـــه احْســـينْها وتِـــدِّعي بِلْگـــال وِيـــن و وِينْهـــا
لابِسَـــه اثْيـــاب الشَّـــهاده الْـــدينْها وكـــلْ فَـــرِدْ مِـــنْهم عِلَـــن مَفْهومـــه
لْبـــايَو خَـــانَو ونِكـــرَو بَيعَتَـــه يـــا أَسَـــفْ ـ ُ ـــو بِـــديهُم رايتَـــه
وِينْهـــه اجْمـــوعِ الاِجَتَّـــه وحَفَّتَـــه وگَـــالَو لْحَنَـــه بْـــاوَّلِ الْمْلْزُومَـــه

(العفراوي،١٣٨٩ش:٩٠-٨٩)

وهذا نموذج آخر من الردة (اللطمية) الحسينية:

رايه واچفوف	بلطفوف	طريحه اعله النّهر
سهم البعين	تره احسين	كسر منّه الظهر
حيرتني	عذّبتني	عباس

عتبـــي إويـــاك يعبّـــاس عفتنـــي بـين الارجـاس يمغـوار وحيـده ومعولـه
انتـــه ســـردال الحـــرب تقبـــل اختـــك تنضـــرب

(الباوي١٣٩٢ش:٧٢)

ولطالما تقمص الشعراء شخصية الأمهات الثكالي في واقعة كربلاء وفي ما يلي قصيدة عن لسان السيدة رملة أم القاسم بن الحسن عليه السلام.

شـــنهو ضـــل عنـــدي بعـــد شـــنهو ضـــل عنـــدي بعـــد
عگـــب عينـــك يلولـــد شـــنهو ضـــل عنـــدي بعـــد
يّمـــه اطلبـــك بالّربـــه تعبـــي وسهـــر الليـــال
الليـــل كلّـــه امحنبـــه والوســـن مـــن عينـــي شـــال
جبـــت عمـــري امعذّبـــه آنـــه واهمـــومي جـــدال
وانطـــر أيـــام الســـعد شنهـــو ضـــل عنـــدي بعـــد

شـــنهو ضـــل عنـــدي بعـــد

(الموسوي، سيد مهدي ١٦٢٨ق، ص:٦٩)

شعر التشبيه الحسيني (الشعر المسرحي)

درج عامة العرب الموالين لأهل البيت عليهم السلام في محافظة خوزستان الإيرانية وفي المحافظات الشيعية في دولة العراق على اقامة مراسيم تمثيلية تشبه المسرحية وذلك في العاشر(يوم الواقعة) واليوم الثاني عشر (دفن الأجساد الطاهرة) من شهر محرم وايضاً في اربعينية الإمام الحسين عليه السلام في العشرين من شهر صفر، وفي هذه المراسيم يتكلم الممثلون باللغة الفصحي خلال أدائهم الأدوار المعدة لهم من قبل طبقاً لما نُصّ عليه في التواريخ والمقاتل ويتخلل هذه الأدوار اشعار باللهجة الدارجة لشرح الموقف وإيصاله لمن لا يفهم الفصحي ولغرض تهييج العواطف الولائية واستدرار الدموع، ولذلك ينظم بعض شعراء اللهجة الأهوازية شعراً خاصاً بالتشبيه الحسيني والذي يقام كل عام في العاشر من محرم الحرام يوم واقعة الطف الأليمة، واستشهاد الحسين بن على عليهما السلام وكوكبة من اهل بيته واصحابه.

يحاول الممثلون في هذا التشبيه تجسيد المشاهد المؤلمة والمفجعة لغرض ايصال هذه الصورة لجموع الناس المحتشدة في مكان اجراء التشبيه والذي غالباً ما يكون في خارج المدينة، ولتمثيل هذه الأدوار يحتاج الممثلون إلى الأراجيز التي ارتجز بها المقاتلون من الطرفين في تلك الواقعة وقد تكون هذه الأراجيز قد سجّلت في الكتب التاريخية والمقاتل ولكن كونها نظمت باللغة الفصحي يصعب فهمها على الجماهير الحاضرة في هذا المسرح، لذا ابتكر الشعراء الشعبيون اشعاراً تحمل نفس المعاني ولكن بألفاظ عامية يسهل فهمها لدي المتلقين، وحسب الأدوار الموزعة على الممثلين تكتب هذه الأشعار، وبها يعرّف المقاتل نفسه ويرتجز ويفتخر على خصمه وقد يصمه بعيوب درج على قولها المقاتلون.

موقف قبل المعركة:

وأقبل شمربن ذي الجوشن(لع) فنادي بنو أُختي عبدالله وجعفر والعباس وعثمان فقال الحسين عليه السلام أجيبوه وإن كان فاسقاً فإنّه بعض أخوالكم فقالوا له ما شأنك فقال يا بني أختي أنتم آمنون لا تقتلوا أنفسكم مع أخيكم الحسين وألزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد. فناداه العباس بن علي عليه السلام: تبّت ولعن ما جئتنا به من أمانك يا عدوّ الله أتأمرنا أن نترك أخانا وسيدنا الحسين بن فاطمة عليها السلام وندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء. فرجع الشمر(لع) إلى عسكره مغضباً.(إبن طاووس،١٩٩٣م:٥٤)

فجاء الشاعر الشعبي مصوراً ذلك الموقف وتلك المحاورة بريشة الشعر الشعبي:

ما اسمحلك تدّعي ابچلمة الخال	ولاتعلّي الصوت وتروع العيال
هاذ مطلوبك يبن جوشن محال	الرايه بيدي وآنه ابن كرارها
يا شمر بسّك ولا تحچي بعد	ما تهمني اخيولها وكثر العدد
اليوم للكرار اوفي بلعهد	والكفاله هلوصل ميحانها
الخيم مكفوله وهاشم بلوجود	وسالم العباس وعليه الزنود
ياهو اليگدريجي ويدنه الحدود	وعملتي بالگنطره اتذكرونها
روح راجع نفسك ابهاذ الكلام	خلي كوفتكم تجي ويفزع الشام
آنه ابو فاضل امجرب بالصدام	وين منّي اوجوهكم تنطوها

(الساري،٢٠٠١م:٧٠)

ثم يأتي دور العقيلة زينب- سلام الله عليها- لتستفهم من العباس -عليه السلام-عن ما دار بينه وبين الحسين - عليه السلام - فتنشئ قائلة:

يعباس ريضلي اعله هونك
اشعدكم اعداك وينـدبونك
أخاف امن أخيك يفردونك
لوني إنخطف يا بعد لونك

من الجدير ذكره أن النوع الشعري المستخدم في تأدية أدوار النساء هو ((النعي)) غالباً وذلك لما يحتويه هذا النوع من الشعر الشعبي من عاطفة ولوعة وشجن.

مواقف المعركة

وتقدّم عمر بن سعد نحو عسكر الحسين ورمي بسهم وقال: إشهدولي عند الأمير أنّي أول من رمي، ثم رمي الناس، فلم يبقي من أصحاب الحسين أحد إلا أصابه من سهامهم.

فقال الحسين - عليه السلام - لأصحابه: قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لابدّ منه، فإنّ هذه السهام رُسُل القوم إليكم فحمل أصحابه حملة واحدة واقتتلوا ساعة فما انجلت الغبرة إلا

عن خمسين صريعاً من أصحاب أبي عبدالله.

ولتبيين هذا الموقف واستدرار الدموع يقوم أحد الممثلين بقراءة أشعار شعبية بصوت حزين وفيما يأتي أشعار شعبية من نوع النعي تشرح الموقف وتأبّن شهداء الطف:

گضَــو حَــگ العلــيهم دون الخيــام
ولاخلّــو خــوات احســين تنضــام
لَمــنْ طَــاحَو نِفَــايض مِــنْهِم الْهــامْ
تَ هــاوْو مِثــلْ مَهْــوَه الــنَّجْم مِــنْ خَــرْ
هــــاذَه الــــرُّمح بِفّــــادَه تِثَنَّــــه
وهــــاذَه الْخِيــــلْ صَــــدْرِه رَضْرِضَــــنّه
وهــــاذه وذاك بلهنــــدي امــــوذّر

(الكعبي، بلاتا: ٣١)

وهناك جانب من هذه الأشعار يعكس تفجع نساء اهل البيت بعد استشهاد كل فرد من اهل البيت أو من انصارهم الابرار، ويقرأ ذوي الأصوات الشجية من الممثلين الرجال فقط هذه الأشعار مما تفجّر الجماهير المحتشدة بالبكاء والنحيب والتألّم.

لسان حال الحوراء:

اعيــوني اعلــه الــدرب تتنطــر اعيــوني	دلّــــوني الشــــريعة ويــــن دلّــــوني
اتنطّــــر چفيلــــي راح مــــــاجاني	اخــــوي البالمجنّــــه مــــا إلــــه ثــــاني
معصــب هــامتي المــا أظــن ينســاني	وادري المــا تخيــب ابهّمتــه اظنــوني
ردنــــه المــــاي منّــــه ريــــت مــــا ردنــــاه	مــــن راح العلــــم روحــــي مشــــت ويــــاه
ضــلّت شــابحه اعيــوني إلــه وتتنــاه	مــــا تهنــــه تراهــــي وتطبــــگ اعيــــوني

(العفراوي، ١٣٨٧هـ.ش: ١٣٥-١٣٦)

وعن لسان عقيلة الطالبيين زينب الحوراء تعاتب أخاها العباس عليه السلام عندما انجلي غبار المعركة ولم يبقي من الرجال أحد يحمي العيال، وأدركت أنّ السبي آتٍ لا محال نادت

بأعلى صوتها:

عَبـــــاسْ يـــــا رَاعِـــــي لِـمْـــــرُوَّه
مـَ ـــــا مِثـــــلْ خُوِّتَ ـــــك خُـــــوّه
فـــــويه الظَّعـــــن لِـسِـــــير نَـــــوَّه
يـــــح يطِـــــرِ افْجـَ ـــــوْجَ نَوَّه
بَـــــسِّ النَّسِـــــه أُويـــــاي إتّـلـــــوّه
شُـــــوفِ الْوكـــــت بِيـــــه اشْسَـــــوَّه
لِبنـــــ ـارِ الْهَضُـــــم كَلْبِـــــي تِجَـــــوَّه

(المشعلي،١٤٢٨ق،ص:١١٤)

تمثيل مواقف ما بعد المعركة:

ثم سار ابن سعد(في اليوم الحادي عشر من المحرم) بمن تخلّف من عيال الحسين، وحمل نساءه على أحلاس أقتاب الجمال من دون وطاء، وهنّ ودائع الأنبياء، وساقوهن كم يساق سبي الترك والروم، في أشدّ المصائب والهموم. فقلن للأعداء: بحق الله إلاّ ما مررتم بنا على مصرع الحسين عليه السلام. فمروا بهن على المصارع، فلما نظرت النسوة إلى القتلى صحن وضربن وجوهن. (الكعبي،بلاتا،ص:١٠٢-١٠٣)

ولتمثيل هذا المشهد ينشد الممثلين الأبيات الفصحي التالية:

مـــروا بهـــن علـــى القتلـــى مطرحـــة ... مـــا بـــين منعفـــرٍ فـــي جنـــب مصـــطلم
ومـــذ رأت زينـــب جســـم الحســـين علـــى ... البـــوغا خضـــيباً بـــدم النحـــر واللمـــم
ألقـت رداء الصـبر وانهـارت هنـاك علـى ... جســـم الحســـين كطـــود خـــرّ منهـــدم

ثم يقرأ هذا الممثل أو سواه عن لسان زينب سلام الله عليها وبصوت شجي أبيات نعي شعبي:

ودّعتـــــك الله يـــــا اعيـــــوني
يـــــردون عنّـــــك يـــــاخذوني

زجـــــر وخـــــولّه اليبـــــاروني
نخيـــت اخـــوتي ومـــا جـــاووبوني
يهـــل الحميـــه مـــا تجـــوني
امـــن ايـــد الأعـــادي اتخلصـــوني

(المصدر السابق، ص: ١٠٣)

وعن لسان حالها (سلام الله عليها) وهذه المرة في قالب الأبوذية ينعي الناعي:

أحشّـــم والضـــعن گفّـــه مـــايتنه
وضـــل اعلـــه التـــرب عـــاري مايتنـــه
الفرحـــه اخـــلاف ابواليّمـــه مايتنـــه
اشـــلون افـــرح واخـــوتي اگطعـــو بيـــه

(العموري١٣٨٥ش،ص:٧٩)

ثم إنّ سكينة بنت الحسين عليها السلام سألت عمّتها: لمن تخاطبين؟ فأجابتها: أخاطب أباك الحسين.

فألقت بنفسها من محملها إلى جسد أبيها، واعتنقت جثّته.

وبعد ما يدور هذا الحوار القصير بين زينب وسكينة عليهما السلام يقرأ ممثل دور السيدة سكينة الأبيات الآتية على أحد الأطوار الشعبية وهو النعي:

يـــــا والْـــــدِي وَالله هِظيَمـــــــــــه

أصـــيْر مِـــنْ صِـــغْري يتيَمـــهْ
والنُّـــوح مِّـــنْ بَعْـــدَك لَجيَمـــهْ
أثَـــاري الأبـــو يـــا نـــاس خِيَمـــهْ
يفَيـــي عَلَـــه ابْنَاتَـــه وحرِيَمـــهْ

فأبكت جميع الأعداء، فقال عمر بن سعد: نحّوها عن جسد أبيها، فاجتمع عليها عدة

من الأعراب حتى جروها من على جسد أبيها، فقامت والدموع جارية، وكأنّي بها نادت:

برضـــــاك لـــــو رغمـــــن عليـــــك
يجرنـــــي العـــدو مـــن بـــين إديـــك
أصـــــرخ واديـــــر العـــــين ليـــــك
وادري ابحميتـــــــــك ماتخلّيـــــــــك
معـــــذور يلحـــــزّو وريـــــديك

(المصدر السابق،ص:١٠٥).

النتيجة:

من أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا المقال أن الشعر الشعبي بأنواعه أستخدم في رثاء الحسين وشهداء الطف ولكن لبعض أنواع الشعر في هذا المجال الحض الأوفر ومن هذه الأنواع النعي الذي استخدمه الشعراء على المنصات والرواديد في المراسيم والخطباء على المنابر، كما نجد للشعر الشعبي استخداماً مبتدعاً من جانب الشعراء والفنانين في مسرح أطلق عليه شعبياً التشبيه الحسيني أو الدائرة وفيه يرتجز المقاتلون من الجانبين ويرثي الشهداء بالشعر الشعبي.

قائمة المصادر والمراجع

- الباوي، عبدالحسين(١٣٩٢ش)، الجروح النازفة، قم، ط١، منشورات ذوي القربي.
- الجابري، كاظم(١٤١١ق)، أبوذية جابر الكاظمي،قم،ط١،الشريف الرضي.
- الحزباوي، عباس(١٤٢٠ق)، ونّت گلب، قم، منشورات ذوي القربي.
- الحسيني (١٤١٤م)،على إبن طاووس، اللهوف في الطفوف، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- الخاقاني(١٤١٨ق)، علي، فنون الأدب الشعبي، قم، ط١، انتشارات المكتبة الحيدرية.
- الديراوي، إبراهيم(١٤٠٩ق)،ديوان الديراوي في مراثي أهل البيت،قم،ط١،مطبعة الشهيد.

- الساري، رحيم(١٣٨٨ش)،ديوان الحسجة، قم،ط١،منشورات ذوي القربي.
- ـــــــ،رحيم (١٤٣٩ق)، قم،ط١،أصداء الولاء، منشورات ذوي القربي.
- الساري، كاظم(٢٠٠١م)،التشبيه الحسيني،قم،ط١،ذوي القربي.
- العفراوي، خلّاف(١٣٨٧ش)،ديوان معاني الوفاء في طف كربلاء، قم، انتشارات كارگر.
- ـــــــ، خلاف(بلاتا)، مصباح الهدي، قم، ط١، الطهارة.
- العموري (١٣٨٥ش)، حبيب، ديوان العموري، قم،ط١،حبل المتين.
- الكعبي، عبد الزهراء (بلاتا)، مقتل الإمام الحسين عليه السلام، النجف الأشرف، مكتبة دار الأندلس.
- الكروشاوي، نعيم(١٤٢٣ق)، أبوذيات الكروشاوي، قم، ط١، ذوي القربي.
- المشعلي، اسماعيل(١٤٢٨ق)، كلب ملهوف في ملحمة الطفوف،قم،ط١،انتشارات أبي الفضل العباس عليه السلام.
- الموسوي (١٤٢٨ق)، سيد مهدي، قم، ط١، انتشارات روح.